رحيل «الاستاذ»

في السادس عشر من اكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٨١، وبينما كان العالم الفلسطيني المشهور، عبد اللطيف طيباوي، يعبر أحد شوارع لندن؛ وهو في طريقه لإيداع رسالة في البريد، صدمته شاحنة بريطانية فتوفي في المستشفى، في اليوم نفسه، عن واحد وسبعين عاماً. وبعد الصلاة عليه، ووري الثرى في أرض المنفى والغربة. وبوفاته، فقدت فلسطين والعالمان: العربي والاسلامي واحداً من صفوة العلماء الأجلاء ومؤرخا ضليعا شكلت وفاته خسارة فادحة لعالم الثقافة والمعرفة.

الدكتور طيباوي (١٩١٠ــ١٩٨١) الذي كان معروفا، ببساطة، بلقب «الاستاذ»، رأى النور في قريته: الطيبة، في قضاء طولكرم في فلسطين، في التاسع والعشرين من نيسان (ابريل) عام ١٩١٠. وتمثل قصة حياته خلاصة رائعة لتاريخ فلسطين الحديث. أبوه محمد طيباوي وأمه طرفة الهدهد من آل جابر، أحد أفخاذ عشيرة بني صعب. وكانت أسرته شديدة التعلق بأرضها وتعاطت الزراعة في مروج فلسطين جيلا بعد جيل. وعلى الرغم من سياسة القمع والتجهيل ومحاربة العلم التي انتهجها الأتراك، فإن آل طيباوي، كسواهم من العائلات والعشائر والحمائل الفلسطينية، كانوا حريصين على اغتراف مناهل العلم والمعرفة، وبالأخص اكتساب القدرة على تلاوة القرآن واستيعاب آياته كأساس لتلك المعرفة.

وفي مدرسة القرية، درس الصبي قدراً كبيرا من القرآن، وحفظه عن ظهر قلب. وغرس هذا في نفسه ولعا دائما بجميع العلوم المتصلة بالقرآن. ومن مدرسة الطيبة، انتقل الى مدرسة في طولكرم انجز دروسها في عامين بدلا من أربعة، وحاز على اعجاب هيئة المدرسة إقرارا بنبوغه ونضجه المبكرين. ثم التحق بكلية التدريب (التي اصبح اسمها، في ما بعد، الكلية العربية في القدس)؛ حيث تتلمذ وأترابه على أيدي اثنين من اعلام فلسطين وفطاحلها المجلين في دنيا العلم والوطنية، وهما: درويش المقدادي وأحمد سامح الخالدي. ولقد أتيح لهذين المربيين الجليلين أن يصقلا في نفس الفتى عبد اللطيف ذلك النزوع الدؤوب والانجذاب العميق الى ميادين التربية والتعليم والدراسات العربية والاسلامية. وتخرج من الكلية العربية بامتياز، مع اعتراف بتفوقه وتنويه بسبقه. وتقديرا للآمال التي عُقدت عليه، قدمت له منحة دراسية لاستكمال تعليمه في الجامعة الاميركية في بيروت، التي طرق أبوابها عام ١٩٢٦، وغادرها بإجازة في التاريخ والعربية والتربية عام ١٩٢٩

وعاد عبد اللطيف طيباوي الى فلسطين ليلقي دروس التاريخ على طلبته في مدرسة الرملة. لكنه ما ان قضى عاما وبعض العام، في عمله هذا، حتى وقع عليه الاختيار ليتولى منصبا اداريا كمساعد لمفتش التربية. ثم أصبح مسؤول التعليم